لا سفر في الليل

مسرحية بقلم احمد الباقري

الشخصيات

يوسف : في الثلاثين

ابراهيم : في الخامسة والثلاثين

رجل ذو بدلة زرقاء

(محطة ريفية معزولة وشاحبة . الوقت مساء)

يدخل يوسف وابراهيم من يمين المسرح بخطى مسرعة ويحملان حقيبتين .

يوسف ــ ولكنك قلت لي بان القطار سيصل في الساعة الثامنة، وها هي الثامنة بالضبط ولم يصل بعد .

ابراهيم ــ ربما ابدلوا مواعيده ، فانهم يبدلون مواعيد القطارات كما يغيرون ملابسهم الداخلية ، فربما وصل وانطلق قبل مجيئنا ،وقد يكون امامنا الان دون ان نراه ، وقد لا نكون في المحطة ابدا . (يفرك عينيه) ترى هل نحن في حلم ؟ اننا نعيش في كابوس دائم . حسنا. اصفعني .

يوسف (يصفعه بقوة) ــ انك الان صاح .

ابراهيم ــ آه . لقد اوجعتني (يفرك خده ــ فترة صمت) هه.. (ينزل الحقيبة على الارض) اه . ربما هذه هي المحطة الصحيحة . لننتظر . (يجلس على حقيبته ، يضع يده على خده وينظر الى الفراغ الاسود) .

يوسف (لا يزال واقفا كالمصعوق وماسكا حقيبته) ــ اف . يا للمحطة الكئيبة ! (يرمي حقيبته بعنف الى الارض ، ويخطو خطوتين) يا للحظ السيىء (متأملا) قد يكون حظنا السيىء هو هو سبب تعاستنا (يستدير ويجلس على حقيبته) اه . ابراهيم .. هب انني وضعت رأسي على شريط السكة الحديد، فبعد ان يمر عليه القطار اكون قد تخلصت من هذا الشقاء .

ابراهيم ــ حسنا ، حاول ذلك بعد ان نصل الى مدينتنا واقول لك وداعا ، فاني لا ارغب في قضاء بقية حياتي في السجن .

يوسف ــ انك الان في السجن .. السجن الكبير .

ابراهيم ــ لننس ذلك ولنستمتع بهذه السماء البلورية الجميلة. (يرفعان رأسيهما الى السماء) انظر . (يشير الى نجمة) انها نجمتي المفضلة ، شاحبة وقلقة كالرغبة الصغيرة في القلب الكسير .. اكبري. اكبري وليبق نورك مضيئا في هذا العالم المظلم .

يوسف (باعجاب) ــ انك شاعر .

ابراهيم ــ انني احيانا انظم قصائد هزلية او داعرة دون ان اكتبها فانساها بعد ذلك ، اني شاعر اللحظات الخطرة (فترة صمت ــ يوسف يهمهم بكلمات غير مفهومة) ها .. ماذا كنت تقول ؟

ابراهيم (بصوت خافت) ــ يقال ان بعض الاشجار تبكي لفراق اغصانها المقطوعة .

يوسف (بحركة حاسمة) ــ هراء ! لا يقول ذلك الا الحمقى ، انهم لا يفهمون شيئا فم علم النبات ، فالاشجار ميتة عاطفيا .

ابراهيم (يرفع اصبعه) ــ بالضبط كما تقول . (يوسف يبصق على الارض ويمسح فمه بكمه باشمئزاز) ــ لاتبصق على الارض،ينبغي ان تحمل منديلا لاجل ذلك والا لم تكن رجلا مهذبا ، فالرجل المهذب يعتني بمناديله واربطة عنقه واحذيته وخاصة الاحذية ، وتقاس نظافة دماغه بنظافة حذائه ، هذا هو الذوق العام .

يوسف (بلهجة غائبة) ــ نعم . نعم . هذا هو الذوق العام .

(يهز رأسه بتثاقل ويغمض عينيه ويبدأ بالغناء)

كان عندي كلب وغلام صغير .
وكنت اطعمهما اللحم والبسكويت .
عضني الغلام وسرق نقودي .
وكان الكلب يبكي طوال الليل .

ابراهيم ــ يا لنكران الجميل .

يوسف (يتاوه بمرارة) ــ آه .. آه .

ابراهيم ــ ماذا قلت ؟

يوسف ــ قلت .. آه .

ابراهيم ــ انني لا افهم .

يوسف ــ الا تفهم العذاب ، يا الهي لم يبق هناك جسر بين البشر ، لقد اصبحنا سفنا مثقوبة ومتداعية توشك على الغرق (فترة صمت) يا للبشر من مخلوقات بائسة !

(يبدو في البعيد ضوء شاحب ، ينهض ابراهيم واقفا ويركض الى يسار المسرح ويقفز من الفرح) يوسف ! انظر . لقد جاء القطار !

يوسف (يرهف سمعه) ــ انني لا اسمع صوتا .

ابراهيم ــ قطار بلا صوت! انه اخر مخترعات العلم الحديث .

يوسف ــ انه ليس قطارا .

ابراهيم ــ انه قطار .

يوسف ــ ليس قطارا .

ابراهيم ــ قطار .

(بينما يتناقشان يقترب الضوء ويبدو رجل يرتدي بدلة زرقاء ويحمل فانوسا)

يوسف (يلمح الرجل فيشير اليه) ــ انظر . الم اقل لك انه ليس قطارا .

يوسف ــ لا شيء .

ابراهيم ــ هل انت سعيد ؟

يوسف ــ لا .

ابراهيم ــ نعم .

يوسف ــ لا .

ابراهيم ــ لا .

يوسف ــ نعم .

ابراهيم ــ ينبغي الا تيأس وكن رجلا .

يوسف ــ ينبغي الا تيأس وكن رجلا .

ابراهيم ــ الموتى هم الخاسرون !

يوسف ــ الاحياء هم الرابحون! عاش المنطق ! انه يجعلك ثريا وانت لا تملك ثمن عشاء .

ابراهيم ـ هه ، لنتسل قليلا ، اه حسنا ، دخل رجل محترم الى مطعم ، وكان جائعا للغاية، فطلب عدة اصناف من الطعام ، والتهمها مرة واحدة ، ولما مد يده لجيبه ليدفع لصاحب المطعم ، لم يجد فلسا واحدا ، فقد نسي محفظته في الفندق . هه . هه . (يضحك وحده) يا للمصادفات المخجلة . اني أتخيل وجهه المحمر امام صاحب المطعم ، فاشعر بالشفقة عليه ، وقد ادفع ثمن طعامه .

يوسف ـ هم .. هم ..

ابراهيم ـ هه . اليست نكتة رائعة (يهز كتف يوسف بعنف)

يوسف (يصرخ) ـ صمتا . اني لا احتمل هذه النكات السخيفة، انها تجعلني اشعر بالغثيان .

ابراهيم ـ عفوا يا صديقي ، لم اكن اعني ذلك ، لقد رغبت بتسليتك .

يوسف (يدفع يد ابراهيم جانبا وينهض واقفا ويخطو عدة خطوات ، ويشعل سيجارة ، وينظر الى السماء ـ فترة صمت ـ ينبسط وجه يوسف ويلتفت نحو ابراهيم بوجه ضارع) ـ اغفر لي غضبي الاحمق ، اني كئيب على الاغلب وما عدا ذلكفهو الاستثناء ، تهبط الكآبة علي كاللعنة حتى احس بالاختناق واشعر برغبة عنيفة بتدمير العالم وكل الناس ، لا بد اني أختلف عن الاخرين .

ابراهيم ـ وانا كذلك ولكني اقتل الكآبة بالسخرية ، فاسخر بالالم والحب والموت ، واخشى ان يتحطم ذات يوم هذا القناع فتبدو اعماقي السوداء المريضة فالتهم العالم بشراهة .

يوسف ـ ليتني كنت شجرة . ان الاشجار وكل الاشياء هي السعيدة . انظر . (يشير بحركة شاملة الى الاشجار خلف المحطة والى اعمدة الكهرباء والاحجار وغير ذلك) انها ساكنة وصامتة لا تحس بالشقاء .

ابراهيم (بخيبة امل) ـ اه .. لقد ضعت حقا .

الرجل ـ مساء الخير .

يوسف ـ مساء الخير.

ابراهيم ـ مساء الخير . (مخاطبا الرجل) ـ الن يأتي القطار هذه الليلة ؟

الرجل ـ قد يأتي وقد لا يأتي ، انكما تعرفان قطارات هذا الزمان، انها ليستا كما ينبغي . اروي لكما شيئا طريفا .. كانت زوجة جاري حاملا ، ومضى على حملها تسعة اشهر دون ان تشعر بالمخاض، وبقيت سنة كاملة ولدت بعدها صبيا ميتا . اليس هذا عجيبا ؟

ابراهيم (للرجل) ـ لقد سألتك فيما اذا يأتي القطار هذهالليلة، ولم اسألك عن الولادات المتأخرة .

الرجل (دون ان يصغي اليه) ـ ايه ! انها الدنيا تحدث فيها اشياء غريبة حقا ، ينبغي ان نتأملها بعمق ولكننا لن نفهمها ابدا . تصور .

ابراهيم (يقاطعه) ـ يا سيدي سألتك ..

الرجل (متذكرا) ـ اه . القطار . لقد حدث له عطب في محطة بعيدة ولكنهم منهمكون بتصليحه وسوف يكون جاهزا بعد وقت قصير.

يوسف (مخاطبا الرجل) ـ سيأتي هذه الليلة.

الرجل (ينظر الى السماء) ـ ان شاء الله ! واذا لم يأت. فسأكون لكما مضيفا متواضعا .

يوسف ـ شكرا .

ابراهيم ـ شكرا . ولكننا نريد ان نسافر الى مدينتنا هذهالليلة.

الرجل (بلا مبالاة) ـ ليلة واحدة لا تهم ابدا .

ابراهيم ـ ان هذه الليلة تبدو لي كالابد ، ليس ثمة اثقل من الانتظار .

الرجل (مخاطبا ابراهيم) ـ ولكن هنالك الامل .

ابراهيم (مخاطبا الرجل) ـ لا آمل شيئا .

الرجل (مخاطبا ابراهيم) ـ دع عنك هذا اليأس وانتظر رحمة الله ، ان الله لا ينسى مخلوقاته ولكن مخلوقاته هي التي تنساه .

ابراهيم (مخاطبا الرجل) ـ ان اتذكره او انساه ذلكشيء واحد.

الرجل (مخاطبا ابراهيم) ـ ان ذلك مختلف .

ابراهيم (للرجل) ـ اوه . انه وهم زجاجي رقيق انظر من خلاله الى العتمة والفراغ .

يوسف (للرجل) يبدو ان الله قد رمانا في سلة المهملات ، ولم نكن واردين في حسابه .

الرجل ـ لا ، كلنا واردون حتى احقر مخلوق على هذه الارض ، وسيتذكركما هذه الليلة ، وستسافران الى مدينتكما بعنايته .

(يستدير ويمشي الى يمين المسرح) ـ وداعا .

يوسف ـ وداعا .

ابراهيم ـ وداعا .

يجلس يوسف وابراهيم كل على حقيبته ويشعل يوسفسيجارة)

ابراهيم (يتثاءب) ـ سانام ، ارجو ان توقظني عندما يأتيالقطار.

يوسف ـ حسنا .

(ابراهيم ينام واضعا وجهه بين ركبتيه ، ينهض يوسف واقفا ويمشي عدة خطوات الى يسار المسرح ، يسمع نعيق البوم حادا ومخترقا صمت الليل ، ابراهيم يستيقظ فزعا ويركض نحو يوسف)

ابراهيم ـ هل اتى القطار ؟

يوسف ـ انه صوت البوم .

ابراهيم (بخيبة امل) ـ اوه . لقدحلمت انني في مدينتي نائم في فراشي الدافئ .

يوسف ـ لن نكون في مدينتنا هذه الليلة .

ابراهيم ـ تفاءل يا صديقي ، ستصاب بسكتة قلبية من تشاؤمك هذا .

يوسف ـ حسنا كما تشاء .

(يدخل الرجل ذو البدلة الزرقاء من يمين المسرح دون فانوسه)

ابراهيم (مخاطبا الرجل) ـ ماذا علمت ؟

الرجل (بكآبة) ـ لقد اتصلت بنا محطة بعيدة تليفونيا ، تذكر انه قد حدث عطب اخر فيهذه المحطة الاخرى .

ستار

ناصرية ـ العراق

احمد الباقري

اخر منشورات دار الاداب

			ق. ل
●	اعياد	(قصص) لعبد الله نيازي	٢٥٠
●	لا بحر في بيروت	« لغادة السمان	٢٥٠
●	الظمأ والينبوع	« لفاضل السباعي	٢٥٠
●	حتى يبقى العشباخضر	لاديب نحوي	٢٠٠
●	ثورة الفقراء	لرجاء النقاش	٢٠٠
●	سلطنة الظلام في مسقط وعمان	لعوني مصطفى	١٥٠
●	كامو والتمرد	ترجمة سهيل ادريس	١٥٠
●	قصص كامو	ترجمة عايدة ادريس	٤٠٠